شذرات

اليوبيل الذهبي للمعهد الطبي الفرنسوي

مرّ خمسون سنة على انشاء المعهد الطبي الفرنسوي التابع لكلية القديس يوسف فاقامت ادارته حفلات شائقة من جملتها الحفلة الكبرى في ردهة الكلية التي قام في اثنائها رئيس الجمهورية نقلد الاب شانتور رئيس المعهد ، ورئيس اليسوعيين العام في سورية ، وسام الاستحقاق اللبناني من الدرجة الاولى بعد ان قرأ المرسوم الصادر في هذا الشأن،وقد جاء فيه :

« تولى رئاسة كلية القديس يوسف فرئاسة الاباء اليسوعيين فرئاسة المعهد الطبي الافرنسي، فلبث سحابة اربع عشرة سنة متقطعاً بلا ملل ولا فتور الى تربية الناشئة اللبنانية في الصفوف الاعدادية والثانوية والعالية ، مظهراً في هذا السبيل من سمو الفكر واستقامة المناك والتجرد التام ما يعدّ فخراً للفرنسة ولفرهانية اليسوعية،ومبرهناً على حزم راسخ لا يتزعزع في تكميل وسائل النجاح واسباب التجميل والتحسين لمعهد الطب ومستشفى اوتيل ديو دي فرنس . وبذلك واصل العمل الباهر الذي بدئ به في لبنان منذ مئة عام بعناية اخوانه اعضاء الرهبانية اليسوعية ولاسيما الاب كاتن الذي لا يزال ذكره حاضراً في جميع الاذهان . فاستحق شكر لبنان . »

وفي الحفلة نفسها تلا نيابة القاصد الرسولي الدكتورين كلميت وكوتار ، وسام القديس غريغوريوس الكبير . ثم القيت بعض الخطب . وقام فريق من طلاب المعهد بتمثيل رواية غنائية وضعها اساتذتهم ، فاتت دليلاً محسوساً على دقة الملاحظة وحسن الذوق . فنهنئ المعهد العزيز متمنين له مزيد الازدهار ، قائلين مع واضعي برنامج الاحتفال « الى الملتقى بعد مائة سنة ان شاء الله ! »

التذكارات الفرنسية اللبنانية

سبق لي ان نشرت ، بناء على اقتراح بعض الاصدقاء ، في عدد شهر آذار ١٩٣٣ الحالية من المشرق مقالة تحت العنوان المبيّن اعلاه ، كما كنت قد نشرت في مجلة المشرق ذاتها ، منذ السنة ١٩٣٠ ، مقالات تتعلق بتذكارات تاريخية قرنية ، ولم يتعرّض احد للانتقاد عليها . ففي سنة ١٩٣٠ تكلمت عن مرور

مائة سنة على فتح الجزائر ؛ وفي تشرين الثاني ١٩٣١ اسهبت في تاريخ تجديد الرهبانية اليسوعية في سورية ولبنان ؛ وفي صيف ١٩٣٢ كتبت مقالة عن التذكارات القرنية لتلك السنة ؛ واخيراً في آذار ١٩٣٣ حصرت البحث في التذكارات القرنية اللبنانية. وما كان اشدّ استغرابي لمّا ارسل لي احد الاصدقاء وانا طريح الفراش ، عدد مجلة المنارة الصادرة في جونية عن شهر نيسان من السنة الحاضرة وفيه ما فيه من الانتقاد والمغامز مما يتعلق بمقالتي السالفة الذكر.

لم استغرب الانتقاد لان لكل رأيه ، ولان العصمة لله وحده . ولكني استغربت طريقة الانتقاد ، وقد تجاوز صاحب تلك المقالة جميع قواعد آداب النقد المعروفة. فانه ، رعاه الله وهداه ، قد اغفل — خلافاً لهذه الآداب — ان يُرسل لي عدداً من مجلته لاطلع على انتقاده. ولكن كيف يُطلب منه المحافظة على قوانين هذه الآداب ، وهو لم يجسر ان يذيّل مقالته بامضائه الكريم ليعرف القرّاء مقدار مركزه من المعارف التاريخية ؟ فهو يتستر ليتمكن من رمي المنتقد عليه بسهام لومه بدون ان تعرف شخصيته . وعلى معرفة شخصيته تتوقف معرفة ما اذا كان يجب الالتفات الى انتقاده ام لا ؟ ويشبه هذا ما جرى بين المصوّر ابيل (Apelle) اليوناني الشهير ، والاسكافي.

اما وقد اراد حضرته ان يكون انتقاده سهلاً مثل اسمه فنحن لا نضيع وقتنا بالردّ على ما كتبه ، وهو احقّ من مقالتنا بان يدعى « غناء بالطاحون » . ولو الم حضرته بشيء من واجب النقد لما اتخذ في كتابته نغمة الاستاذ الذي لا يُراجع ، ولهجة المعلّم الذي لا يغلط ، ولاجتهد اولاً في اتباع اداب الجدال ، وثانياً في اظهار ما هو غلط في مقالي.

ثم ما كنت افهم السبب الذي ينيله من الحق بالانتصار للهرونية او للدويهي ، ما لا ينيلني اياه ، وهذا ماضي اجدادي وكتاباتي الشخصية منذ ثلث قرن تشهد لي ؟

وما كنت افهم الموجب للكلام في موضوعنا الحاضر عن قداسة البطريرك الدويهي ؛ ومن الذي تعرّض لها ؟ وسواء أكان الدويهي اقدس بطاركتنا واعلمهم ام لا ، فماذا يفيد ذلك ؟ وهل تنفي قداسته الاغلاط التاريخية التي ارتكبها ؟ وهل في طلب اصلاح هذه الاغلاط ، واقتراح تأليف تاريخ مدقق

للطائفة انقاص من فضل الدويهي وخدماته للعلم والتاريخ ؟ الا يرى القرّاء الكرام ان امثال هذه المقالة الانتقادية هي « التي تجعل كتابة التاريخ في بلادنا مصابة بعقم اشبه بثبات (كذا) المرت » ؟

وانني اختم هذه الكلمة باحالة قرّاء المشرق الكرام ومنتقدنا المتبحّر الى الحواشي الواردة في ذيل الصفحات ٢٩٦ الى ٣٠٢ من كتاب « لباب البراهين الجلية عن حقيقة امر الطائفة المارونية » للطيب الاثر المطران يوسف دريان النائب البطريركي في مصر وقد انتهى من « تحبيره في العشرين من شهر تشرين الاول ١٩١١، في كرسي ابرشية دمشق، بجبل لبنان » — والى كتاب سيادة دريان ايضاً الاخير المدعون « نبذة تاريخية في اصل الطائفة المارونية واستقلالها في جبل لبنان من قديم الدهر حتى الآن » وهو مطبوع في المطبعة العلمية في بيروت ، وينتهي الكلام فيه الى رجوع البطريرك الحويك الى بكركي في ٧ كانون الثاني سنة ١٩٢٠ ، بعد الاستقبال الرسمي الذي اقامه له الجنرال غورو . وانني اخصّ بالذكر الحواشي الواردة فيه ، في ذيل الصفحات ٥٤ الى ٦١ ، فيرى فيها الاغلاط التي ارتكبها البطريرك الدويهي والتي لا تحصى ولا تتفق مطلقاً مع اي تاريخ من تواريخ العالم ، ولا يقبل بها العقل ، حتى اضطرّ الاديب الدمشقي حبيب الزيات الى تسميتها « باساطير الموارنة » . واكتفي باعادة الاسطر الستة الاخيرة من تلك الحاشية الطويلة لانها تنطبق غاية الانطباق على حالتي مع هذا المنتقد المتبحّر الكريم ، قال رحمه الله :

« هذا ونحن نعلم ان بعض الناس من الموارنة لا يتلقون هذا الرأي الجديد الا بالاستخفاف وينسبون قائله الى الجسارة والمطاولة على علمائهم الاعلام . ولكن الحقيقة لا تخشى لومة لائم وهي لا بدّ لها من ان تظهر بالاحتكاك . ومعاذ الله ان نقصد ما قد يتهموننا به وانما القصد كل القصد ان نمحّص تاريخنا من بعض الشوائب بقدر الامكان ونفتح باباً لبحث اهل النظر العافي فيه ، وكم ترك الاول للاخر . » (آه)

وفي الختام اتعزّى عن انتقاد حضرة الاستاذ المتبحّر بوجودي من رأي واحد مع فقيدي الدين والعلم الطيبي الاثر المطرانين يوسف دريان صاحب التأليفين المذكورين وبطرس شبلي الوارد ذكره في تلك الحواشي السابقة الذكر . رحمهما الله !

بيروت ، في ٨ ايار ١٩٣٣ سليم الدحداح